أحمد ابراهيم الغزاوي

الفيصل ..
ومجلس الشورى

« ماكنت أحسب قبل دفنك في الثرى
ان الكواكب في التراب تغور »
« ماكنت آمل قبل نعشك أن أرى
(رضوى) على أيدى الرجال تسير »
« خرجوا به ـ ولكل باك خلفه
صعقات موسى يوم دك الطور »
« حتى أتوا (جدثا) كان ضريحه
في قلب كل موحد محفور »
« كفل الثناء له برد حياته
لما انطوى ـ فكأنه منشور »

● ابو الطيب المتنبي ●

انها لابيات من قصيدة للمتنبي قبل نحو من الف سنة وما اراها بمعانيها الرائعة ٠٠ الا رثاء صادقا سبق به الشاعر ـ من وراء الغيب فبكى به فقيدنا العظيم وحبيبنا الراحل الذى ملأ الدنيا كلها بمأثره ، وفضائله ، واجهش به كل مشرق ومغرب ، وقاص ودان ، و « كل من عليها فان » وانا لله وانا اليه راجعون

وبعد :ـ فقد رغب الي سعادة اخي العبقرى الكريم الاستاذ «محمد حسين زيدان» رئيس تحرير مجلة « الدارة » الغراء ٠٠ في رسالة خاصة مؤرخة في ٤/ربيع الثاني عام ١٣٩٥ هـ ـ لم استلمها الا يوم ١٦ منه ٠٠ اى بعد مرور اثنى عشر يوما على صدورها من الرياض الى مكة ٠

اقول : رغب الي ان اكتب كلمة عن « الفيصل في مجلس الشورى » واسلوب الحكم لاعتزام مجلة الدارة اصدار عدد خاص عن الشهيد العظيم ٠٠

وكانما اراد عفاالله عني وعنه : ان اكون في موقف لا أحسد عليه من العجز والاعياء ٠٠ أو التهافت والاصفاء ٠

وما والله ـ استشعر بذلك غضاضة ٠٠ فقد أخرس الحادث كل منطيق ـ وارى ان هذا الخرس والاعتراف به ٠٠٠ هو البرهان على « الصدمة » التي جعلت الدموع هي الناطقة عمن فجعوا به من « عباد الله » الذين عرفوا لجلالته ٠٠ فداحة المصاب وبغتته ٠٠ وصعقته وشدته وفجعته وآلامه المبرحة ٠٠ ولكنه الايمان بالله وقضائه وقدره وخيره وشره ٠٠ وهو وحده القادر على ان يهبنا برحمته الصبر الجميل وهو حسبنا ونعم الوكيل ٠٠ و « العجز عن درك الادراك ادراك » ٠

واذا كان الموضوع محددا ٠٠ وفي نطاق خاص ٠٠ فانني امهد له بمقدمة لا مندوحة لي من اعلانها وبيانها ٠٠٠ بمالها من دلالة على مكانة في الدنيا والاخرة ويوم يقوم الاشهاد ٠ وهي كما أقصها في ايجاز ودون تزيد ولا تزلف ولا افتئات ! ٠

اى ورب الكعبة ، انها لكما أرويه ٠٠ في كثير من التعجب والاستغراب ٠٠ لانها من اسرار النفس أو الروح ٠٠ « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ٠

ذلك أنني في ليلة الثلاثاء الموافق ١٣٩٥/٣/١٣ هـ ـ بت ليلتي كلها في قلق واضطراب شديدين ٠٠٠ مع انقباض وامتراض ٠٠ وقضيتها ساهرا مسهدا متوترا الاعصاب شاكيا من اسقامي العديدة ٠٠ فلما اصبحت استعنت بالله ٠٠ وكابرت وصابرت حتى اذا أذن الظهر ٠٠ تداعيت واضطجعت على فراشي في كثير من التضرع والدعاء والابتهال ، فاخذتني سنة من النوم ٠٠ لا تزيد عن الساعة ٠٠ وخلالها رايت مشهدا ما يزال ماثلا بين عيني ٠٠٠ رايت الشهيد ـ تغمده الله برحمته ورضوانه ٠ جالسا في أريكة لم ار قط مثلها جمالا وجلالا ٠٠ على « كرسي » أين منه عرش « الطاووس » ؟! وهو مشرق المحيا باسم متهلل ٠٠ وكانت « الغرفة » واسعة ٠٠ مشرقة ٠٠٠ بالاضواء فاقبلت اليه للسلام ٠٠ فاوما بيمينه ٠٠ بان انتظر قليلا ٠٠

فوقفت مكاني أتملى بهذا المنظر الرائع واتمنى ان لا أريم عنه ٠٠ فما شعرت الا وجرس الهاتف يرن كثيرا وبالحاح ٠٠٠ فصحوت على ضجيجه المتواتر ٠٠ فنهضت اليه ٠٠٠ متثاقلا ٠٠ فماذا كان ؟

سمعت محدثي يقول لي وهو يجهش ويبكي : الا تسمع ؟ قلت ماذا ؟٠ قال استمع الى الاذاعة السعودية فورا ٠٠٠ فاذا بالنبا العظيم يصك المسامع ويذرى المدامع ٠٠٠ واذا بي اسقط مرتاعا ٠٠٠ ولا أعي شيئا الا انني في غمرة من الاغماء ٠٠٠ واسعفت بالنوشادر ٠٠ وبماء الكولونيا وتنبهت قليلا ٠٠ وعدت الى نفسي أتساءل ؟ أمازلت في أحلامي ؟ ٠ رغم قيامي ٠٠ فكان الامر غير ماتوهمت ٠٠٠ ووجدتني استرجع واستعيع ٠٠ واكرر هذه الآية : « الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون » ٠٠٠ وتذكرت « أن الصبر عند الصدمة الاولى » ٠

وكان المأثور عن المصائب أنها تبدو كبيرة ثم تصغر فاذا هي في « الفيصل » ٠٠ تزداد بمرور الزمن فتكبر وتكبر ٠٠٠ وما زلت اعاني منها حتى ألقى ربي مؤمنا بانها تمحيص ـ لا مفر منه ـ وقدر نافذ لا يملك تلطيفه أو تخفيفه غير من بيده ملكوت السموات والارض ٠ و « لله عاقبة الامور »

واعود الى ما طلب الي الحديث عنه من علاقة « الفيصل » بمجلس الشورى خلال رئاسته له ومنذ نحو من خمسين سنة ٠ مع العلم بأن كل ما أتذكره او اذكره هنا فانما هو وشل من بحر وثمد من قطر

لقد انيط به مقام « رئاسة مجلس الشورى » في عام ١٣٤٠ هـ ـ وكان له نائبان احدهما وهو الاول تختاره الحكومة ٠ او جلالة الملك ٠ والآخر يكون بالانتخاب من بين اعضائه ٠٠ وكان ذلك مستمرا في كل دورات المجلس التي حددها النظام بعد كل سنتين ٠ ولقيام «سموه» آنئذ بمنصب «نائب جلالة الملك» ٠٠ وبوزارة الخارجية كان يعهد الى النائب الاول والى النائب الثانى ـ في غياب الاول ـ بتصريف امور المجلس وادارة جلساته ٠٠ وترفع الى سموه باعتباره نائبا للملك جميع القرارات التي يتخذها المجلس في كل ما يحال اليه من الاعمال والمعاملات والموازنات والانظمة واللوائح والتعليمات في حدود صلاحياته المدونة في نظامه الاساسي ٠ ويتخذ المجلس قراراته بالاكثرية ـ فاذا تساوت الاراء كان راى الرئيس او النائب الاول او الثاني ايا كان منهما رئيسا للجلسة هو المرجح ٠٠ ويكون الحق للقسم الاخر في المخالفة باسبابها وترفع مع القرار في نفس الوقت ٠٠ وتتالف في المجلس لجان ثلاث هي « لجنة الانظمة » و « لجنة شئون الادارية » و « لجنة شئون المالية » ٠٠ وتحال اليها من رئاسة المجلس المعاملات لدرسها ومناقشتها والاستماع الى مندوبي الدوائر فيها ٠

ثم تقدم تقريرها عن كل موضوع على حدة ليدرس ويناقش في جلسة عامة بالمجلس ٠ ويتولى مقرر اللجنة تقديم اى استيضاح بشانه تفصيلا واجمالا ٠ وقد اضيف الى هذه اللجان لجنة لتمييز الصكوك التجارية واخرى للاقتراحات ٠

وكان سموه يشرف على المجلس بطريق مباشر وغير مباشر ٠٠ ويتصـــــل بسموه النائبان في الاسترشاد في كل ما تستدعي المصلحة الاتصال به ليكون الراى متفقا بين المجلس والحكومة ٠٠ في جميع الاعمال ٠٠ وليس معنى ذلك ان يسير المجلس بمقتضى توجيه خاص ـ الى وجهة نظر محددة او معينة ـ بل كانت له الحرية المطلقة في ابداء رايه في الشئون العامة المعروضة عليه ٠٠ دون اي تقييد او تحديد ٠٠ وله كل الحق في عرض ارائه ومقترحاته ٠٠ بل وكل « مخالفة » ٠٠ يبديها احد اعضائه او اكثر ٠ ضد قرار الاكثرية على ان يكون القرار او المخالفة ـ كل منهما مدعم بحجته الشرعية او النظامية ٠٠ والمهم قبل كل شيء هو الاخلاص في ذلك كله ٠٠ وضمان ما تقضي به مصلحة الامة والبلاد ٠ وبذلك استطاع مجلس الشورى ان ينجح في تصديق كل ما اصدره من قرارات عامة او خاصة ٠ فردية او جماعية ٠ وكل ما اقره من انظمـــة وتعليمات ٠٠ وموازنات للدوائر ٠ والبلديات ٠٠ وطبعت جميع الانظمة التي حازت التصديق وعممت بجميع الادارات للعمل بموجبها ٠٠

وكان التصديق العالي ـ احيانا ـ يرد على مخالفة قدمها عضو او اكثر ٠٠ عن اساس ترجيح المصلحة وقوة الحجة فيها ٠٠ لا اهدارا لقـــرار الاكثرية ٠٠٠ ولكـــن اقتناعا بوجهة النظر المعارضة ٠٠ طالما كانت واضحة بينة ٠٠ تتفق والصالح العام ٠

نعم : كان سموه يشرف في رأس كل دورة حفل الافتتاح ٠! كما كان يفعل جلالة الملك عبد العزيز حين وجوده بمكة ٠ ويتلى فيه بيان من المجلس بما اتمه خلال دورته السابقة ، ويبدى فيه ما يقترحه في المستقبل في سبيل التقدم والاصـــــلاح ٠٠ وكان سموه يرتجل فيه خطابا رائعا جامعا مانعا ٠٠ يعلن فيه ما تزمع الحكومة عمله في الانشاء والانماء والتعمير ويحث فيه على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ٠٠ وبما لا بد من مراعاته في التدرج بالحكم والادارة ٠٠ ـ وينصح فيه باسلوبه الحكيم وبما اختصه الله به من الحلم والاناة بان تسير مناقشات المجلس في هدوء وسعة بال وحسن احتمال ٠٠ وفي حرص تام على اداء الامانة وتحقيق الاهداف السامية دون تنازل عنها او هوادة فيها٠ويدعو الى وجوب الصراحة والمناصحة وايثار المصالح العامة ٠٠ وربما ـ وجه الخطاب الى جهة او فريق ٠٠ من الاعضاء ٠٠ وهو يعني غيره على طريقة «اياك اعني فاسمعي ياجارة» ٠٠٠ فلا يجابه من يعنيه بعتابه ، ويمضي في ذلك على قاعدة « ما بال اقوام ؟ » ٠٠ حرصا على ان لا يجرح شـــعور من يعنيه مواجهة ٠٠٠ وهناك يستشعر المقصود بحديثه انه هو ٠٠ فينصح وينصلح !!

ويربا بنفسه ان يفاجا بغير ذلك اذا هو لم يقلع عن كل ماخذ يجب ان يترفع عنه ٠٠ وان يتخلص منه ٠٠

واذكر ان عضوين ـ في احدى الدورات القديمة ـ تنابزا في القول ٠٠ ثم تلاحما وتخاصما وكادا يتلازمان ٠٠ وكنت سكرتيرا عاما ٠٠ يومئذ وفي عنفوان الشباب ٠٠ فبادرت « افرع » بينهما حتى سكنت الثائرة وعلم سموه بذلك ٠٠٠ فعاتبني على تدخلي ٠٠ وقال : لماذا فصلت بينهما ؟ انهما يتحملان كل ما صدر منهما ٠٠ وكان عليهما ان يحافظا على كرامة المجلس ٠٠ فلا يتغاضبان ولا يتنازعان طالما ان كل راى تحفظ له مكانته وحرمته ويعرض على ولاة الامور ولهم وحدهم الترجيح اخيرا ٠٠ فاما ان يحمل احدهما على رايه قسرا ـ فذلك مالا تقبله « الحكمة ـ ولا العقل ٠٠ ولا المنطق » ٠٠

قلت : ان سموه كرئيس للمجلس ٠٠ لم تكن تتاح له فرص الاشتراك في جلساته غالبا ٠٠ الا انه اذا كانت الامور المعروضة ذات اهمية كبرى ٠٠ او ذات مساس بالوضع العام ٠٠ فانه يستدعي المجلس الى رحابه ٠٠ ويراس بنفسه الجلسة التي تدور فيها المناقشات ٠٠ حتى ينتهي الامر الى قرار اجماعي ٠٠ لو لم يراس فيه الجلسة لطال بها الامد دون جدوى !

ومن اهم ما نص عليه نظامه انه اذا اتخذ قرارا ما ولم توافق عليه الحكومة ومضى عليه شهران فعليها اعادته اليه مصحوبا بوجهة نظرها فان قنع بها والا كان له ان يعرضه على جلالة الملك مباشرة من قبل رئيسه ٠٠ مع وجهة نظر الحكومة فيه ٠ ليصدر جلالته امره النافذ فيه بما يراه هو الاصوب والاصلح

واشهد انه خلال مدة رئاسته التي ما يزال المجلس يعتز بها الى اخر يوم من حياته الغالية ٠٠ والتى تجاوزت « نصف قرن » لم يكن الا المثل الاعلى للخلق الاسلامي الرفيع ٠٠ والا القدوة الحسنة لمن يملك ان يقول ويفعل ٠٠ الا انه بطبعه وفطرته لا يبتز الراي ولا يصادره ولا يغضي عنه الا بعد ان يكون قد استنفد فيه كل ما اوتيه من حكمة وروية وسداد ٠٠٠ فهنا لك لاتاخذه في الحق لومة لائم ٠٠ وكان من عادته انه اذا كتب اليه عضو ما او غيره ٠٠ بما لا يرضى من القول في زميل له او اكثر يرسل ذلك الى المجلس ليطلع اليه ٠٠ تهذيبا وتاديبا وتانيبا ٠٠ فلا يدع مجالا لغيره في المطاعن الخلفية وهو حجر يضرب به عصفورين معا !! وقلما حدث هذا الا نادرا جدا ٠٠

ولقد كان جلالة المغفور له مؤسس هذه الدولة وباني كيانها ورافع بنيانها

ومشيد سلطانها الملك عبد العزيز تغمده الله برحمته ورضوانه ٠٠ يتولى بنفسه افتتاح الدورات كلما كان ذلك اثناء وجوده بمكة المكرمة ٠٠ وفي اثناء غيابه « بالرياض » يتولى ذلك عن جلالته « رئيس المجلس ٠٠ ورئيس الحكومة نائبا عن جلالته » ٠٠ وكان المجلس يتلقى من جلالته في ختام كل دورة « تقديرا وتشجيعا » رسميا يزيد به اغتباطا وفخرا وانطلاقا الى ما هو خير مما مضى بقدر ما استطاع تحدوه الى ذلك الثقة العالية ، ولقد تعاقب على المجلس في دوراته الكثيرة « رجال » لهم وزنهم في المجتمع كله وكانوا ذوى سمت ووقار ٠٠ وعلم وفضل وتجربة ومنهم الاشياخ ومنهم الشباب ٠٠ وكان منهم اهل البيان الذي يتدفق أثناء المناقشة بحيث يود السامع ان لا يسكت القائل ٠٠٠ مهما طال ٠٠ ومنهم من كان مديرا عاما أو سفيرا او أميرا او قاضيا أو اديبا بارزا ، اوشاعرا كبيرا ، او صحفيا لا معا ٠

ومن تقاليد المناقشة ان يكون لكل عضو الحق في الكلام في موضوع واحد وجلسة واحدة ثلاث مرات كلما جاء دوره بالترتيب ٠٠٠ وقد لا يبت في الموضوع المعروض في جلسة واحدة ٠٠ ويستتم ذلك في جلسة قادمة ٠٠ فتراه استوفى كل ما يجب ان يدعم به جحته فيه ٠ ويدلي به في سكينة ٠٠ وطمانينة ٠٠ ولا يقاطع مطلقا وان شذت القاعدة ٠٠ وتعذر الانصات ٠٠ كما هي عادة المجالس العامة ٠٠ اعلن رئيس الجلسة فضها مؤقتا بعض الوقت ٠٠ ثم تستانف ٠٠ حين يكون الجو أكثر هدوءا ٠٠ ولا بد للرئيس في بعض الظروف٠٠ان يرفه عن الاعضاء ـ بطرفة او دعابة او نادرة تلطف من جو الموقف ٠٠٠ وتزيل عنه ماقد يرين عليه من تجهم او انقباض ٠

اما اسلوب الحكم ـ فان له مجالا غيرهذا ٠٠ وهو في كلياته وجزئياته عمل باحكام الشريعة المطهرة في كل دقيق وجليل ، هذا ـ واعترف أنني لم اوف هذا الموضوع بعض حقه من جميع الجوانب ٠ غير انه « المامة » أو اضمامة ورد يفوح اريجها ويدل على ما كان للشهيد العظيم من صلة بالمجلس ٠٠٠ ابان رئاسته ٠٠

ولا يفوتني أن استطرد هنا الى ان نظام المجلس الاساسي قد خوله استدعاء رؤساء الدوائر ذات العلاقة بالموضوع المطروح امام المناقشة أو من ينوب عنهم كلما اقتضت المصلحة ذلك ، وبعد استطلاع ما لديهم في ذلك يغادرون الجلسة ٠٠ ويتخذ المجلس قراره في ذلك دون مشاركتهم في التصويت معه ٠ وقد حدث مرة ان اشترك بعض ذوى المكانة في مناقشاته ٠ وأصروا ان تكون لهم مشاركة في التصويت ايضا لانهم لم يشاركوا الا بامر سام ٠٠ فابى المجلس عليهم ذلك ٠٠ وأخذ جلالة الملك وسمو الامير نائبه يناصره في موقفه هذا لتمسكه بالنظام ٠

هذا ٠٠٠ واني للكتاب مجتمعين أن يستوعبوا الامداء البعيدة ، والاعمال الباهرة : والمواقف الشريفة التي قام بها جلالة الراحل العظيم في مختلف الشئون العامة وفي مجالات الحرب والسياسة والاقتصاد وتاليف القلوب وتوحيد الكلمة في العالمين العربي والاسلامي !!! فانها مما تضيق عنه المجلدات الضخمة وحسبه أن الله جل وعلا لا يضيع أجر من أحسن عملا ، وأنه بايمانه ويقينه واقواله وافعاله وجهاده خالد في جنات النعيم ان شاء الله ٠ « وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »

وختاما اتضرع الى الله جل وعلا ان يتغمد الشهيد العظيم الذى لا تحصى مآثره واياديه ورائد التضامن الاسلامي « جلالة الملك فيصل » برحمته الواسعة وأن يحسن جزاءه على ما قدمه (من الباقيات الصالحات) وان يتولى بعونه وتوفيقه وتاييده جلالة خلفه المحبوب الملك خالد المعظم وسمو ولي عهده الحبيب والنائب الاول لرئيس مجلس الوزراء الامير فهد بن عبد العزيز وسمو النائب الثاني الامير عبدالله ابن عبد العزيز وأن ياخذ بأيديهم الى ما يحبه ويرضاه ، انه سميع مجيب ٠

مكة المكرمة ـ احمد بن ابراهيم الغزاوى